مسرحية من فصل واحد..

ومشـــــــهدين

الرضـــا

«المشهد الأول»

«حجرة الطعام ذات أثاث فخم ينم عن ثراء أهل المنزل.. «سليم» الأخ الأكبر ـ وهو شاب في السابعة والعشرين من العمر ـ جالس يتناول إفطاره بمفرده.. يوجد باب آخر ناحية اليسار.. الوقت قبل الظهر بقليل»

سمير: أخيرا استيقظت حضرتك؟ هل تعلم كم الساعة الأن؟

سليم: يا أخي ألق السلام أولا ثم قل صباح الخير.

سمير: صباح الخير يا سيدي.. «يسحب أحد الكراسي ويجلس عليه»

سليم: أين السلام؟ أين تحية الإسلام؟

سمير: يا ساتر على العقد و الرجعية التي تغرق فيها، يعني ما هو الفرق بين صباح الخير والسلام عليكم؟ كلها تحية «يقولها بسخرية».

سليم: لا طبعا هناك فرق بينهما، ثم أنا حذرتك مراراً من السخرية بالأمور الدينية والنظرة إليها بعين السخرية وإن كانت صغيرة في نظرك.

سمير: هل لي أن أعرف متى سوف تنتهي هذه المحاضرة؟

سليم: لن تنتهي حتى تتعلم أمور دينك..

سمير: أمور ديني؟ مباشرة سميت هذه التوافه أمور ديني؟ هل أنا مفرط في ديني لمجرد أني لم ألق السلام على حضرتك؟

سليم: أولا هذه ليست توافه، ثانياً أن من لا يهتم بصغائر أمور الدين لن يهتم بكبيرها.

سمير: كل هذه المواعظ لأني سألتك لماذا تأخرت في الاستيقاظ اليوم؟ طيب يا سيدي لا أريد أن أعرف. «يهم بالخروج من الغرفة».

سليم: انتظر قليلاً ولا تغضب.. تأخرت في الاستيقاظ لأني كنت سهرانا إلى ساعة متأخرة من الليل.

سمير: ما شاء الله.. يعني حضرتك سهران طوال الليل وعندما يكلمك أحد تجيبه بالمواعظ.

أين كنت طوال الليل يا أستاذ مواعظ وحكم؟

سليم: «بحزم» يا سمير لا تنس أني أخوك الكبير ولا ينبغي لك أن تكلمني بهذه اللهجة.

سمير: «بضيق مع سخرية» حاضر أين كنت يا أخي الكبير يا قرة عيني؟

سليم: «يجيب مباشرة وكأنه لم يفطن لأسلوب السخرية» كنت في المطار.

سمير: في المطار؟ لماذا؟

سليم: كنت في وداع أبينا. فهو لم يسافر إلا في ساعة متأخرة.

سمير: ماذا؟ أبي سافر؟ أين؟

سليم: طبعاً وكيف لك أن تعلم وأنت طوال الليل والنهار خارج المنزل. على أي حال أبي سافر ليتمم صفقة تجارية خاصة بالشركة.

سمير: يعني المفروض أن أظل جالساً في البيت لا أبرحه وأراقب كل فرد في البيت من الذي سافر ومن الذي

لم يسافر أليس كذلك؟

سليم: لم أقل ذلك. لكن لا ينبغي أن تظل أكثر أوقاتك خارج المنزل خاصة مع هذه الصحبة السيئة..

سمير: «بغضب وحدّة» أعتقد أني لست قاصراً ولست بحاجة إلى النصح من أحد.

سليم: أنا لست أحدا.. أنا أخوك الكبير ويهمني مصلحتك.

سمير: «بتذمر» أف أخي الكبير.. أخي الكبير..

سليم: «ممازحا» ماذا تفعل هذا قدرك أن تولد بعدي بعامين.

سمير: «يبدو مستغرقاً» القدر.. هذه الكلمة.. لو أن لي تغيير القدر..

سليم: استغفر الله العظيم، ما هذا الكلام الذي تقوله؟

سمير: هه.. لا شيء.. لا شيء.

«يسيطر الصمت هنيهة من الوقت على المكان»

سمير: هل يستطيع الإنسان أن يغير من مجرى حياته؟

سليم: لا أفهم! ماذا تقصد؟

سمير: أقصد هل أستطيع أن أصنع شيئاً يجعلني شخصاً آخر.. سمير لكن بشكل آخر.

سليم: لا أفهم!!

سمير: «بعصبية» أنت لا تعرف سوى كلمة لا أفهم؟

سليم: هل تقصد أنك اكتشفت أخيراً أنك كنت مخطئا في طريقة حياتك وفي اختيارك لأصدقائك وتريد أن ترجع إلى الطريق الصحيح؟ والله لنعم الرأي هو.

سمير: «ينظر إليه شزرا وكأنه يتهمه بالغباء» قلت لك مراراً ليس لك شأن بحياتي الخاصة وتصرفاتي الشخصية فأنت لست وصيا عليّ. أنا لم أقصد هذا بالمرة وإذا أردت أن أفعل ما قلت لن آخذ منك المشورة.

سليم: حيرتني معك.. ماذا تريد أن تقول إذن؟

سمير: اسمع.. ألسنا إخوة أشقاء؟

سليم: أعتقد هذا!

سمير: بدون سخرية لو سمحت.. أجبني ألسنا أشقاء؟

سليم: نعم.

سمير: جميل جداً.. هل نحن متشابهان؟

سليم: أعتقد هذا..

سمير: ثانية!!

سليم: أقصد نعم بيننا شبه كبير.

سمير: «يهب واقفا» لا. نحن لا نشبه بعضاً.. تعال وانظر بنفسك «يأخذ أخاه ويقفان أمام المرآة» صحيح أن

بقلم:
فيصل يوسف غمري*

بيننا ملامح مشتركة ولكن انظر للون بشرتك..

سليم: بيضاء..

سمير: وأنا؟

سليم: سمراء..

سمير: وأنت شعرك بني وأنا شعري أسود فاحم وليس بجودة وجمال شعرك..

سليم: «كالمشدوه من كلام أخيه لا يعرف كيف يرد عليه...!!!»

سمير: هل بإمكانك أن تخبرني ما سبب ذلك؟

سليم: «ينظر إلى أخيه والدهشة مازالت مستقرة على وجهه» اعتقد من الطبيعي جداً أن يكون هناك أخوان أحدهما أسمر والآخر أبيض خاصة إذا كان الوالدان كذلك، فأنت إذا كنت أسمر فلانك أخذت لون الوالد.

سمير: ولماذا لم يحدث العكس؟

سليم: ماذا تقصد؟

سمير: «بسخرية» ماذا أقصد؟ أقصد لماذا لم تكن أنت صاحب البشرة السمراء وأنا صاحب البشرة البيضاء؟ أي لماذا لم تكن أنت أنا وأنا أنت؟

سليم: لأن الله عزوجل أراد ذلك، ثم قل لي منذ متى والرجل يقيم بلونه أو بشكله؟ الرجولة تقاس بالخلق الفاضل والشخصية القوية المتزنة والأهم من هذا وذاك تقواه وخوفه من الله عزوجل. ثم إن مسألة الألوان والأشكال هذه بيد الله وحده ليس لنا فيها أي تصرف أو محاولة للإعتراض.

سمير: كلام.. كلام.. لا آخذ منك سوى الكلام والنصائح فقط.

سليم: ماذا تريدني أن أقول لك إذن؟

سمير: قل لي إني استطيع تغيير لون جلدي إلى البياض مثلا..

سليم: «يضحك» لا أدري لماذا أنت مهتم بهذا الموضوع كل هذا الاهتمام!

سمير: لماذا تضحك بهذا الشكل؟ هل في كلامي ما يضحك؟

سليم: لا ولكن شر البلية ما يضحك..

سمير: هل أنا بليّة؟

سليم: لا ولكن البلّية هي طريقة تفكيرك.

سمير: غداً سوف ترى أن طريقة تفكيري هذه والتي تسميها أنت بلاء ما هي إلا التفكير الملائم للعصر الحديث، عصر العلم، غداً سوف ترى أن الإنسان بالتقدم العلمي سوف يغير الكثير من المفاهيم التي ورثتها وترددها بلا عقل، غداً لن يقف أي شيء أمام العلم والتقدم.

سليم: «غاضبا» استغفر الله العظيم. سمير هل جننت؟ ما هذا الهذيان؟ إن العلم والتقدم بدون إرادة الله لن يفيدا الإنسان بأي شيء، والعلم لن يكون له أي قيمة إذا تجرد من الدين والأخلاق وعندها سوف يكون نقمة على بني آدم لا نعمة.

سمير: «بامتعاض» عدنا للكلام مرة أخرى.. والله لا أدري من منا الذي يهذي.

سليم: استغفر الله العظيم.

سمير: استغفر أنت كما تشاء وأنا سأفعل ما أشاء.

سليم: استغفر الله العظيم.

ستار

□□ المشهد الثاني

«عيادة طبيب أمراض جلدية، الدكتور المعتز بالله أحمد، سمير نائم على السرير والدكتور معتز يكشف عليه خلف الساتر القماشي، لوحة معلقة على الحائط مكتوب عليها الآية الكريمة ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾، الوقت: الساعة الخامسة مساء، باب العيادة من الناحية اليمنى من المسرح.»

د. معتز: «يظهر من خلف الساتر متجها نحو مكتبه» تفضل يا سمير تستطيع أن تأتي إلى هنا.

سمير: «يظهر من خلف الساتر كذلك وهو يصلح من هندامه»...

د. معتز: ما شاء الله صحتك في حالة جيدة وكذلك جلدك وبشرتك في أحسن ما يكون.

سمير: لكن يا دكتور أنا أشكو من جلدي.

د. معتز: تشكو؟ تشكو من ماذا؟ هل تحس أنك ترغب في هرش جلدك باستمرار؟

سمير: لا.

د. معتز هل عندك حساسية من طعام معين؟

سمير: لا

د. معتز: من رائحة معينة؟

سمير: لا.

د. معتز: «يبتسم» اذن ما الذي جاء بك إلى هنا؟

سمير: «ينظر إليه برهة وهو صامت».. دكتور.. ألست صديقا لوالدي منذ زمن؟

د. معتز: هه.. فهمت، أنت هنا كي تسلم عليّ، والله جزاك الله كل خير لكنك لو أخبرتني من قبل لكنت وفرّت عليك مشقة الصعود إلى سرير الكشف والنهوض عنه ولكنت أرحتني أنا أيضاً «يضحك».

سمير: طبعاً يسرني رؤيتك والسلام عليك ولكني جئت إليك اليوم لسبب آخر غير السلام فقط.

د. معتز: خير إن شاء الله.

سمير: لم ترد على سؤالي ألست صديقا لوالدي منذ زمن؟

د. معتز: منذ مدة ليست بالقصيرة وأنا أعرف والدك والحق هي معرفة خير يفخر الإنسان بها.

سمير: إذن تعرف عنه كل شيء تقريباً أليس كذلك؟

د. معتز: انظر يا سمير مهما كنت صديقاً حميما لشخص ما لابد وأن يكون هناك أشياء لا يحب هذا الشخص أن يظهرها لك. فلا يوجد إنسان يفضل أن يكون كتابا مفتوحا للجميع.

سمير: أنا أعرف هذا بالطبع ولكن أقصد أنت تعرف أنه تاجر ناجح ويمتلك ثروة كبيرة.. أليس كذلك.

د. معتز: نعم، ماشاء الله تبارك الله.

سمير: الإنسان يستطيع شراء أي شيء بالمال.. صحيح؟

د. معتز: ليس كل شيء.. هناك أشياء لا تشترى بالمال. كالسعادة مثلا لا يستطيع الإنسان الحصول عليها بالمال ولكنها تتحقق بالرضا.

سمير: «يتمتم» ياساتر.. إنه يتكلم مثل سليم.

د. معتز: ماذا؟

سمير: لا شيء.. لا شيء.

«دقائق صمت يبدو فيها سمير مطرقاً يفكر»

سمير: أنت طبيب أمراض جلدية.. أليس كذلك؟

د. معتز: «مبتسما» ما رأيك أنت؟

سمير: أقصد بما أنك طبيب أمراض جلدية أريد أن استشيرك في أمر بخصوص الجلد البشري.

د. معتز: تفضل.

سمير: هل يستطيع الإنسان أن يغير لون جلده؟

د. معتز: «يبدو وكأنه لم يستوعب السؤال» ماذا؟

سمير: أعني هل يستطيع الإنسان الأسمر أن يصبح أبيض والأبيض أسمر؟

د. معتز: في الحقيقة.. مع التقدم العلمي والتقني المذهل في مجال الطب أصبح ذلك ممكنا عملياً لكنه أمر مكلف مادياً.

سمير: وإذا وجدت السيولة المادية الكافية؟

د. معتز يأتي هنا دور الضمير والأخلاق.

سمير: «ساخرا» ما دخل الضمير والأخلاق بلون جلدي؟

د. معتز: «ينظر إليه مستنكراً عليه الطريقة التي تكلم بها» كيف تقول ذلك؟ إن الجسد ما هو إلا أمانة أعطانا الله عزوجل إياها فينبغي علينا المحافظة عليها وعدم العبث بها والإنسان الذي يغير في جسده بلا ضرورة يعتبر قد خان الأمانة.

سمير: ألم تقل منذ قليل إن العلم تقدم وأصبح الإنسان قادراً على فعل مالم يستطع فعله سابقا.

د. معتز: هذا صحيح.

سمير: وأن المشكلة فقط في التكلفة المالية.

د. معتز: لا أنا لم أقل هذا، أنا قلت إننا حتى لو استطعنا تجاوز عقبة المال فلن نستطيع تجاوز الضمير الحي الذي هو المحرك والقائد لكل شؤوننا، فالعلم مهما تقدم ومهما بلغت براعة الإنسان سيظل مرتبطا بالضمير والأخلاق أما إذا انفصل عنهما فيكون قد وصل إلى قمة الجهل والضلال.

سمير: «يبتسم بخبث» إذن الحل أن ينسى الشخص ضميره.. أو يقتله ويرتاح. المهم أن يصل إلى مبتغاه.

د. معتز: «مندهشاً من الكلام الذي يسمعه» هذه قضية أخرى فإذا انعدم الضمير فقل على الدنيا السلام.

سمير: «لا يبدو عليه الاقتناع بما يسمع»..؟؟

د. معتز: لكن لماذا أنت مهتم هكذا بهذا الموضوع؟

سمير: «متلعثما» لا.. لا شيء.. لا شيء.

(صمت)

سمير: لكن يا دكتور لو عرض عليك شخص ما مبلغاً كبيراً من المال مقابل أن تقوم بتغيير لون جلده بدون أي سبب من الأسباب التي تسميها حتمية فقط لأنه يريد تغيير لونه، هل تقوم بذلك.

د. معتز: بالطبع لا، فأنا لو قمت بذلك أكون قد خنت ديني ورسالتي الطبية، وكما قلت لك الإنسان لا يستطيع شراء كل شيء بالمال ومنها الضمائر الحية.

سمير: «يطرق مفكراً لكن مازالت علامات عدم الاقتناع مرسومة على وجهه» لكن العلم في خدمة الإنسان وتحت تصرفه.

د. معتز: نعم، لكن العلوم والإنسانية كلها تحت تصرف الضمير والمباديء الإسلامية التي تحرم العبث في خلق الله.

سمير: «يتمتم» يعني لا فائدة..؟

د. معتز: لا فائدة من ماذا؟

سمير: لا شيء.. أعتقد أني مضطر للسفر للخارج كي أغير.. آآ.. هواء.

د. معتز: متى؟

سمير: لا أدري ربما غداً أو بعد غد.

د. معتز: تسافر وتعود بالسلامة إن شاء الله.

سمير: مع السلامة.. «يودعه ويخرج».

د. معتز: «يفكر بصوت مسموع» غريب جداً أمر سمير هذا، إنه يفكر بطريقة تدعو إلى القلق.

«يظلم المسرح تماماً ثم بعد قليل يضيء نور خافت ويظهر «سليم» و«د. المعتز بالله»، لا يوجد أي أثاث على المسرح فقط خلفية سوداء مظلمة

سليم: لقد مات..

د. معتز: لم يحتمل جسده سرطان الجلد.

سليم: لقد مات..

د. معتز: كان عنيداً في آرائه لا يستمع لكلمة ناصح.

سليم: لقد مات..

د. معتز: لقد أخبرته أن الإنسان لا يستطيع شراء كل شيء بالمال فلم يستمع لي.

سليم: لقد مات..

د. معتز: لن يفيد الكلام الآن.. الله يرحمه ويغفر له.

سليم: لقد مات.. «يصرخ في هستيرية» مات.. مات.. مات.. «صمت.. و يظلم المسرح تماماً»

«صوت مقرىء للقرآن يرتل الآية الكريمة: ومن يبدل نعمة الله من بعدما جاءته فإن الله شديد العقاب».

(ستار)

---

* أديب سعودي